

## خطبة السيدة زينب (ع) في الشام

ومن ذلك: خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية في الشام (52) رواها جماعة من العلماء في مصنفاتهم، وهي من ابلغ الخطب وأفصحها، عليها أنوار الخطب العلوية وأسرار الخطبة الفاطمية (عليهم السلام).

قال: روى الصدوق من مشايخ بني هاشم وغيره: انه لما دخل علي بن الحسين (عليه السلام) وحرمه على يزيد جيء برأس الحسين (عليه السلام) ووضع بين يديه في طشت، وجعل يضرب ثيابه بمخصرة كانت في يده وهو يقول :

ليت أشياخي ببدر شهدوا \*\*\* جزع الخرج من وقع الاسل  
لأهلوا واستهلوا فرحاً \*\*\* ثم قالوا يا يزيد لا تشل  
قد قتلنا القرم من ساداتهم \*\*\* وعدلناه ببدر فاعتدل  
لعبت هاشم بالملك فلا \*\*\* خبر جاء ولا وحي نزل  
لست من خندف ان لم انتقم \*\*\* من بني احمد ما كان فعل

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت :  
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق

الله سبحانه حيث يقول: (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء ان كذبوا  
بآيات الله وكانوا بها يسـتهزؤن)(53)

أظننت يا يزيد - حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء،  
فاصبحنا نساق كما تساق الأسراء - ان بنا هواناً على الله وبك عليه  
كرامة، وان ذلك لعظم خطرك عنده، فشمت بأنفك، ونظرت في  
عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذكورك مرحاً، جذلان  
مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا  
لك ملكنا وسلطاننا، وفمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: (ولا تسحب  
الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لأنفسهم، انما نملي لهم ليزدادوا اثماً  
ولهم عـذاب مهـين)(54)

أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك واماءك، وسوقك بنات  
رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن  
الأعداء من بلد الى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعازل، ويتصفح  
وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من حماتهن  
حمي ولا من رجالهن ولي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد  
الازكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل  
البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن، والاحن والأضغان ثم تقول غير

متأثم ولا مسـ تعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحاً \*\*\* ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنيًا على ثنایا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تتكتها بمخصرتك  
وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشاقة، بإراقتك  
دماء ذرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونجوم الأرض من آل  
عبد المطلب وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم فلتردن وشيكا  
موردهم ولتودن انك شلت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما  
فعلت. اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك  
دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت الا جلدك، ولا حزرت الا لحمك، ولتردن على رسول  
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما تحملت من سفك دماء ذريته  
وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلم  
شعثهم، يأخذ بحقهم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل  
أحياء عند ربهم يرزقون)(55)

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً، وبجبرئيل  
ظهيراً، وسيعلم من سؤل لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس  
للظالمين بدلاً وأيكم شر مكاناً، واضعف جنداً .

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك، اني لاستصغر قدرك واستعظم  
تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى .  
الا فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان  
الطلاقاء، فهذه الأيدي تنطف من دماننا، والأفواه تتحلب من لحومنا  
وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتتابها العواسل، وتعفرها أمهات  
الفراعل ولئن اتخذتنا مغنما، لنجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد الا ما  
قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد، والى الله المشتكى وعليه المعول .  
فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا  
تميت وحيانا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك الا فند وايامك الا  
عدد، وجمعك الا بدد، يوم ينادي المنادي الا لعنة الله على الظالمين .  
والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا  
بالشهادة والرحمة، ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم  
المزيد ويحسن علينا الخلافة، انه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم  
الوكيل (ل) (56) .....

ان بلاغة زينب (عليها السلام) وشجاعتها الادبية ليس من الأمور  
الخفية، وقد اعترف بها كل من كتب في وقعة كربلاء ونوه بجلالتها  
اكثـر أربـاب التاريخ .  
ولعمري ان من كان ابوها علي بن ابي طالب ( الذي ملأت خطبه  
العالم وتصدى لجمعها وتدوينها اكابر العلماء، ومن امها فاطمة

الزهراء صاحبة خطبة فدك الكبرى، وصاحبة الخطبة الصغرى التي  
القتها على مسامع نساء قريش ونقلها النساء لرجالهن .  
نعم ان من كانت كذلك فحرية بان تكون بهذه الفصاحة والبلاغة، وان  
تكون لها هذه الشجاعة الادبية والجسارة العلوية .

ويزيد الطاغية يوم ذاك هو السلطان الاعظم، والخليفة الظاهري على  
عامة بلاد الإسلام تؤدي له الجزية الفرق المختلفة والامم المتباينة،  
في مجلسه الذي اظهر فيه ابهة الملك، وملاه بهيبة السلطان، وقد  
جردت على رأسه السيوف، واصطفت حوله الجلاوزة وهو واتباعه  
على كراسي الذهب والفضة وتحت ارجلهم الفرش من الديداج  
والحرير. وهي (صلوات الله عليها) في ذلة الاسر، دامية القلب باكية  
الطرف، حرى الفؤاد من تلك الذكريات المؤلمة والكوارث القاتلة، قد  
أحاط بها أعداؤها من كل جهة، ودار عليها حسادها من كل صوب .  
ومع ذلك كله ترمز للحق بالحق، والفضيلة بالفضيلة فتقول ليزيد -  
غير مكرثة بهيبة ملك، ولا معتنية بأبهة سلطانه -: أمن العدل يا بن  
الطلاق، وتقول له أيضاً: ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك اني  
لاستصغر قدرك، واستعظم تقريعتك، واستكثر وتوبيخك .  
فهذا الموقف الرهيب الذي وقفت به هذه السيدة الطاهرة مثل الحق  
تمثيلاً، واضاء الى الحقيقة لطلابها سبيلاً، وافحمت يزيد ومن حواه

مجلسه المشوم بذلك الاسلوب العالي من البلاغة وابهت العارفين منهم بما اخذت به مجامع قلوبهم من الفصاحة، فخرست الألسن، وكمت الأفواه، وصمت الأذان، وكهربت تلك النفس النورانية القاهرة منها (عليها السلام) تلك النفوس الخبيثة الرذيلة من يزيد واتباعه بكهرباء الحق والفضيلة، حتى بلغ به الحال انه صبر على تكفيره وتكفير اتباعه، ولم يتمكن من ان يقطع كلامها او يمنعها من الاستمرار في خطابتها، وهذا هو التصرف الذي يتصرف به ارباب الولاية متى شاءوا وارادوا، بمعونة الباري تعالى لهم، واعطائهم القدرة على ذلك .....

- 52 رواها ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور في كتابه بلاغات النساء والخوارزمي في المقتل .
- 53 سورة الروم: الآية 10 .
- 54 سورة آل عمران: الآية 178 .
- 55 سورة آل عمران: الآية 169 .
- 56 بلاغات النساء ص 35 كلام زينب بنت علي بن ابي طالب (عليه السلام) .